بسم الله الرحمن الرحيم

نفحاتُ وَداعِ رَمَضانَ

الْحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، دَعَا عِبَادَهُ إِلَى اغتِنَامِ مَوَاسِمِ الخَيْرِ وَالبَرَكَاتِ، وَحَثَّهُمْ عَلَى المُسَارَعَةِ إِلَى عَمَلِ الطَّاعَاتِ، وَبُلُوغِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، حَثَّنَا بِقَوْلِهِ وَفِعْلِهِ عَلَى اغتِنَامِ الأَوقَاتِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلنَّفَحَاتِ، فَكَانَ إِمَامَ المُتَّقِينَ، وَخَيْرَ الصَّائِمِينَ القَائِمِينَ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحَابَتِهِ الأَبْرَارِ، وَعَلَى التَّابِعِينَ مِنَ المُتَّقِينَ الأَخْيَارِ، صَلاةً دَائِمَةً مَا تَعَاقَبَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ.

أَمَّا بَعْدُ؛ فَيَا أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ: اتَّقُوا اللهَ حَقَّ التَّقْوَى، وَاعْلَمُوا أَنَّ الأَيَّامَ تُطْوَى؛ فَسَارِعُوا إِلَى مَا يُقَرِّبُكُمْ إِلَى اللهِ زُلْفَى، فَكَمْ فِي ذَلِكَ مِنْ آيَةٍ لِمَنْ أَبْصَرَ وَتَفَكَّرَ، وَعِبْرَةٍ لِمَنِ اتَّعَظَ وَاعْتَبَرَ، ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾[1]، كُنَّا نَنْتَظِرُ قُدُومَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرِ الرَّحْمَةِ وَالمَغْفِرَةِ، شَهْرِ النُّورِ وَالبَرَكَةِ، شَهْرِ الفَوزِ بِالجِنَانِ وَالعِتْقِ مِنَ النِّيرَانِ، فَطُوبَى لِمَنْ عَمَرَ نَهَارَهُ بِالصِّيَامِ، وَلَيَالِيَهُ بِالقِيَامِ، وَتَزَوَّدَ فِيهِ مِنْ صَالِحِ الأَعْمَالِ، مَا يُقَرِّبُهُ إِلَى مَرْضَاةِ الخَبِيرِ العَلاَّمِ، وَهَا هِيَ قُلُوبُ المُؤْمِنِينَ تَتَهَيَّأُ لِوَدَاعِهِ، وَقَدْ كَانَتْ تَعِيشُ فِي كَنَفِ أَنْوَارِهِ وَرَحَمَاتِهِ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلاَّ القَلِيلُ، فَالمُوَفَّقُ السَّعِيدُ مَنِ اغْتَنَمَهَا وَحَقَّقَ فِيهَا الصِّيَامَ وَالقِيَامَ كَمَا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى، فَصَامَ شَهْرَ الصَّوْمِ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا فَغُفِرَتْ ذُنُوبُهُ؛ مِصْدَاقًا لِقَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ : ((مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحتِسَابًا غَفَرَ اللهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ))، لَقَدْ كَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ – يَا عِبَادَ اللهِ – يَسْتَعِدُّ لِصَوْمِ رَمَضَانَ وَيَتَهَيَّأُ لِهَذِهِ العِبَادَةِ الخَالِصَةِ، كَانَ يَدْعُو رَبَّهُ جَلَّ وَعَلا قَبْلَ قُدُومِ الشَّهْرِ بِأَنْ يُبَلِّغَهُ رَمَضَانَ، وَكُنْتُمْ تَدْعُونَ وَلا تَزَالُونَ بِأَنْ يَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ، وَيَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ، وَأَلاَّ يُغَادِرَكُمْ هَذَا الشَّهْرُ حَتَّى يُعْتِقَكُمُ اللهُ مِنَ النَّارِ، وَهَكَذَا يَسْتَمِرُّ المُؤْمِنُ فِي رَجَائِهِ، فَيَدْعُو فِي خِتَامِ الشَّهْرِ بِأَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْهُ صِيَامُهُ وَقِيَامُهُ وَصَالِحَاتُ أَعْمَالِهِ، وَيُلِحُّ فِي هَذَا الدُّعَاءِ عَسَى اللهُ أَنْ يَكْتُبَهُ عِنْدَهُ مِنَ المَقْبُولِينَ الفَائِزِينَ، وَمَعَ ذَلِكَ فَلا بُدَّ أَنْ يَنْظُرَ كُلٌّ مِنَّا

(١) سورة ق/ ٣٧ .

إِلَى نَفْسِهِ، وَيُحَاسِبَهَا عَمَّا فَعَلَ فِي رَمَضَانَ، وَيَتَطَلَّعَ إِلَى الآثَارِ الَّتِي حَقَّقَهَا فِي هَذَا الشَّهْرِ لِتَكُونَ لَهُ زَادًا مُعِينًا لَهُ فِي سَائِرِ عَامِهِ.

أَيُّهَا المُسلِمُونَ:

تُرَى مَا الَّذِي غَرَسَهُ رَمَضَانُ فِي نُفُوسِنَا؟ وَمَا الَّذِي زَرَعَهُ فِي قُلُوبِنَا؟ وَمَا الَّذِي تَعَلَّمْنَاهُ مِنْ مَدْرَسَةِ الصِّيَامِ؟ لَقَدْ تَعَلَّمْنَا مِنْ مَدْرَسَةِ الصِّيَامِ الصَّبْرَ وَمُجَاهَدَةَ النَّفْسِ عَلَى شَهَوَاتِهَا، فَالفَائِزُ فِي هَذَا الشَّهْرِ مَنْ حَقَّقَ هَذَا الصَّبْرَ، فَكَانَ لَهُ خُلُقًا فِي حَيَاتِهِ كُلِّهَا، لَيْسَ فِي رَمَضَانَ فَحَسْبُ، بَلْ فِي كُلِّ الشُّهُورِ وَالأَعْوَامِ، وَكَيْفَ لا يَكُونُ المُؤْمِنُ صَابِرًا وَقَدِ اعتَادَ فِي هَذَا الشَّهْرِ الصَّبْرَ عَنْ رَغَبَاتٍ هِيَ مُبَاحَةٌ لَهُ فِي الأَصْلِ مِنْ أَكْلٍ وَشُرْبٍ وَغَيْرِهَا؟ فَارتَقَتْ نَفْسُهُ بِذَلِكَ وَتَرَبَّتْ رُوحُهُ عَلَى الصَّبْرِ عَنِ المُبَاحَاتِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُ فِي صَبْرِهِ عَنِ المَعَاصِي وَالآثَامِ؟ لا شَكَّ أَنَّهُ عَنْ ذَلِكَ أَبْعَدُ، وَفِي حِفْظِ نَفْسِهِ عَنْ ذَلِكَ أَشَدُّ، فَالصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ كَمَا أَخْبَرَنَا بِذَلِكَ الرَّسُولُ الصَّائِمُ الصَّابِرُ ﷺ ، ثُمَّ إِنَّ الصَّبْرَ عَلَى ثَلاثَةِ أَنْوَاعٍ: صَبْرٍ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَصَبْرٍ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ، وَصَبْرٍ عَلَى مَا قَدَّرَهُ اللهُ وَقَضَاهُ، وَتَجْتَمِعُ هَذِهِ الثَّلاثَةُ كُلُّهَا فِي الصَّوْمِ؛ فَإِنَّ فِيهِ صَبْرًا عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَصَبْرًا عَمَّا حَرَّمَ اللهُ، وَصَبْرًا عَلَى مَا يَحْصُلُ لِلصَّائِمِ مِنْ أَلَمِ الجُوعِ وَالعَطَشِ، وَضَعْفِ النَّفْسِ وَالبَدَنِ، وَقَدْ وَعَدَ اللهُ الصَّابِرِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١)، وَهَكَذَا يَتَبَيَّنُ لَنَا عِظَمُ الارتِبَاطِ بَيْنَ الصَّوْمِ وَالصَّبْرِ، وَأَنَّ الصَّوْمَ سَبِيلٌ أَكِيدٌ إِلَى اكتِسَابِ خُلُقِ الصَّبْرِ، ذَلِكَ الخُلُقِ العَظِيمِ الَّذِي أَمَرَ اللهُ بِهِ، وَأَعْلَى مِنْ شَأْنِهِ فِي كِتَابِهِ، وَأَثْنَى عَلَى أَهْلِهِ، وَوَعَدَهُمْ بِالأَجْرِ الجَزِيلِ عِنْدَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾(٢)، وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾(٣)، وَالإِنْسَانُ فِي حَيَاتِهِ مُحْتَاجٌ إِلَى الصَّبْرِ دَائِمًا، وَرَمَضَانُ فُرْصَةٌ لا تُعَوَّضُ لاكتِسَابِهِ، فَرُبَّمَا ابتُلِيَ فِي نَفْسِهِ بِمَرَضٍ أَوْ حِرْمَانٍ، أَوْ فِي وَلَدِهِ أَوْ مَالِهِ، وَهُوَ مُحْتَاجٌ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ

(١) سورة الزمر / ١٠.

(٢) سورة النحل / ١٢٧ .

(٣) سورة آل عمران / ٢٠٠.

يَصْبِرَ عَلَى مُتَطَلَّبَاتِ الحَيَاةِ، فَفِي بَيْتِهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ وَأَوْلادِهِ هُوَ مُحْتَاجٌ إِلَى الصَّبْرِ عَلَى مُعَانَاةِ الأَوْلادِ وَمَا يَلْزَمُهُ لِخِدْمَتِهِمْ وَالعِنَايَةِ بِهِمْ، وَهُوَ بِحَاجَةٍ إِلَى الصَّبْرِ كَذَلِكَ عِنْدَمَا يَكُونُ فِي عَمَلِهِ وَوَظِيفَتِهِ وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ المَجَالاتِ، وَمَنْ سَعَى بِجِدٍّ وَإِخْلاصٍ لِنَيْلِ هَذَا الخُلُقِ حَصَلَ عَلَيْهِ، فَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ: ((مَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً أَعْظَمَ وَلا أَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ))، وَبِالصَّبْرِ يَعِيشُ الإِنْسَانُ سَعِيدًا مُطْمَئِنًا؛ لأَنَّهُ عَلَى ثِقَةٍ بِأَنَّ بَعْدَ الصَّبْرِ فَرَجًا، وَبَعْدَ العُسْرِ يُسْرًا، وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ –: (وَجَدنَا خَيْرَ عَيْشِنَا بِالصَّبْرِ). وَالصَّائِمُ المُحْتَسِبُ اعتَادَتْ نَفْسُهُ وَتَرَبَّتْ طُولَ هَذِهِ الأَيَّامِ المُبَارَكَةِ عَلَى أَنَّهُ إِذَا أُوذِيَ أَوْ شُتِمَ لا يَغْضَبُ، وَلا يُقَابِلُ الإِسَاءَةَ بِمِثْلِهَا؛ لأَنَّهُ بِصَوْمِهِ عَاهَدَ رَبَّهُ عَلَى حِفْظِ لِسَانِهِ وَجَوَارِحِهِ، وَلا يَنْفَعِلُ لأَتْفَهِ الأَسْبَابِ، وَالصَّائِمُ المُحْتَسِبُ لَيْسَ فِي صِيَامِهِ وَلَيْسَ فِي حَيَاتِهِ مَلَلٌ أَوْ شَكْوَى؛ فَهُوَ يَطْرُدُ كُلَّ ذَلِكَ بِكُلِّ قَولٍ سَدِيدٍ، وَعَمَلٍ صَالِحٍ مُفِيدٍ، فَصِيَامُهُ للهِ، وَصَبْرُهُ بِاللهِ، وَجَزَاؤُهُ عَلَى اللهِ، فَإِذَا تَحَلَّى الإِنْسَانُ بِهِ كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يُفْلِحَ فِي حَيَاتِهِ، وَأَنْ يُقَدِّمَ الخَيْرَ العَمِيمَ لأُمَّتِهِ.

أَيُّهَا المُؤْمِنُونَ:

تَعَلَّمْنَا مِنْ مَدْرَسَةِ الصِّيَامِ كَيْفَ نَبْنِي إِرَادَتَنَا الحُرَّةَ المُنْضَبِطَةَ بِضَابِطِ الإِيمَانِ، وَمُرَاقَبَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَآنٍ، فَانْظُرُوا – يَا رَعَاكُمُ اللهُ – فِي قِيمَةِ الصَّوْمِ فِي دِينِنَا الحَنِيفِ، وَكَيْفَ يَحُوطُ هَذِهِ النَّفْسَ بِتَشْرِيعَاتٍ وَأَحْكَامٍ تَضْبِطُ سُلُوكَهَا وَمَشَاعِرَهَا، عَلَّمَتْنَا مَدْرَسَةُ الصِّيَامِ كَيْفَ نَكُونُ جَمِيعًا عَلَى حَالَةٍ نَفْسِيَّةٍ شُعُورِيَّةٍ وَاحِدَةٍ، فَتَرَى الغَنِيَّ يَعْطِفُ عَلَى الفَقِيرِ؛ لأَنَّهُ استَشْعَرَ وَذَاقَ الأَلَمَ الَّذِي يَكُونُ بِالامتِنَاعِ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَيَتَذَكَّرُ حَالَ الفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ الَّذِينَ تَمُرُّ عَلَيْهِمُ السَّاعَاتُ وَهُمْ يَسْتَشْعِرُونَ هَذَا الجُوعَ وَيُكَابِدُونَ مَرَارَةَ الحِرْمَانِ، فَتَنْشَأُ الرَّحْمَةُ فِي قَلْبِ هَذَا الغَنِيِّ؛ فَتَرَاهُ يُنْفِقُ مِمَّا آتَاهُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ، لأَنَّ رَمَضَانَ أَرَاهُ بِصُورَةٍ عَمَلِيَّةٍ كَيْفَ يَكُونُ حَالُ الإِنْسَانِ عِنْدَمَا يُحْرَمُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ، وَقَدْ وَعَدَ اللهُ المُنْفِقِينَ بِقَولِهِ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا

وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1]، ومِنْ قَوَاعِدِ النَّفْسِ أَنَّ الرَّحْمَةَ تَنْشَأُ عَنِ الأَلَمِ، وبِذَلِكَ تَرَى نُفُوسَ المُؤْمِنِينَ فِي اتِّحَادٍ وتَرَابُطٍ، فَتَرَى كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ يَشْعُرُ بِأَخِيهِ، ويَتَحَسَّسُ أَحْوَالَهُ وأُمُورَهُ، وكَيْفَ لا يَكُونُونَ كَذَلِكَ؟ والإِسْلامُ جَعَلَهُمْ إِخْوَةً عِنْدَمَا يَقُومُونَ مَعًا فِي صَلاةِ الجَمَاعَةِ بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ مُستَوَيَاتِهِمْ وحَالاتِهِمُ الاجتِمَاعِيَّةِ، ويَصُومُونَ ويُفْطِرُونَ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ، فَأَيُّ رَابِطَةٍ أَقْوَى مِنْ هَذِهِ الرَّابِطَةِ؟ وأَيُّ صِلَةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ النَّاسِ أَشَدُّ مِنْ هَذِهِ الصِّلَةِ؟ ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[2]، فَكَمْ تَرَكْتَ لَنَا يَا رَمَضَانُ مِنْ آثَارٍ إِيمَانِيَّةٍ فِي قُلُوبِنَا؟ وكَمِ ازْدَادَتْ أُخُوَّتُنَا ومَوَدَّتُنَا بِكَ؟

عِبَادَ اللهِ:

يُشْرَعُ لَكُمْ بَعْدَ العَمَلِ الصَّالِحِ الاستِغْفَارُ، فَهُوَ خِتَامُ الأَعْمَالِ كُلِّهَا؛ لَعَلَّ اللهَ يُكَفِّرُ بِسَبَبِهِ مَا كَانَ فِي العَمَلِ مِنْ نَقْصٍ، وَهُوَ خَيْرُ وَسِيلَةٍ لِلاستِزَادَةِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ واستِمْطَارِ خَيْرَاتِهِ وبَرَكَاتِهِ، ﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ، يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ، وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾[3]، ولِعِظَمِ أَمْرِ الاستِغْفَارِ جَمَعَ اللهُ بَيْنَهُ وبَيْنَ تَوْحِيدِهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَالَ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ﴾[4]، وفِي خِتَامِ الصَّلاةِ نَسْتَغْفِرُ اللهَ ثَلاثًا، وفِي خِتَامِ المَجْلِسِ نَقُولُ كَمَا أَوْصَانَا رَسُولُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ : ((سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، نَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، نَسْتَغْفِرُكَ ونَتُوبُ إِلَيْكَ))، وكَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ نَخْتِمَ الصِّيَامَ بِالاستِغْفَارِ والتَّوْبَةِ للهِ، كَتَبَ عُمَرُ بنُ عَبْدِ العَزِيزِ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – إِلَى الأَمْصَارِ يَأْمُرُهُمْ بِخَتْمِ رَمَضَانَ بِالاستِغْفَارِ وصَدَقَةِ الفِطْرِ، وقَالَ عُمَرُ فِي كِتَابِهِ: قُولُوا كَمَا قَالَ أَبُوكُمْ آدَمُ: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ

(١) سورة البقرة / ٢٧٤.
(٢) سورة الأنفال / ٦٣.
(٣) سورة نوح / ١٠-١٢.
(٤) سورة محمد / ١٩.

ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[١]، وقُولُوا كمَا قَالَ نُوحٌ: ﴿وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٢]، وقُولُوا كمَا قَالَ مُوسَى: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[٣]، وقُولُوا كمَا قَالَ ذُو النُّونِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٤].

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَاختِمُوا عِبَادَتَكُمْ وَصَوْمَكُمْ بِالاستِغْفَارِ إِلَى العَزِيزِ الغَفَّارِ، وَوَاصِلُوا الطَّاعَةَ عَلَى الدَّوَامِ فِي رَمَضَانَ، وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ وَالأَعْوَامِ.

أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَسْتَغْفِرُ اللهَ العَظِيمَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ يَغْفِرْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ، وَادْعُوهُ يَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنهُ هُوَ البَرُّ الكَرِيمُ.

*** *** ***

الحَمْدُ للهِ الهَادِي لأَقْوَمِ السُّبُلِ، سُبْحَانَهُ أَحْيَا فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ الأَمَلَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى مُوَاصَلَةِ العَمَلِ وَتَركِ اليَأْسِ وَالمَلَلِ، وَأَشْهَدُ أَن لاَّ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ، خَيْرُ الأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ، وَاصَلَ عِبَادَةَ رَبِّهِ حَتَّى حَضَرَهُ الأَجَلُ، ﷺ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ، فَيَا أَخِي المُسلِمَ:

تَقَبَّلَ اللهُ مِنْكَ صِيَامَكَ، وَوَفَّقَكَ لإِخْرَاجِ زَكَاةِ الفِطْرِ عَنْ نَفْسِكَ وَعِيَالِكَ، فَهَذَا شَهْرُ الصَّوْمِ يَسْتَأْذِنُ لِلرَّحِيلِ، وَيُوصِيكَ بِمُدَاوَمَةِ الطَّاعَةِ، وَلِسَانُ حَالِهِ يَقُولُ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، وَالرَّبُّ يُطَاعُ فِي كُلِّ الشُّهُورِ وَالأَيَّامِ، وَلَيْسَ فِي رَمَضَانَ فَقَطْ، وَبِغُرُوبِ شَمْسِ آخِرِ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ تَسْتَقْبِلُنَا زَكَاةُ الفِطْرِ يَا عِبَادَ اللهِ، وَهِيَ مَا يُخْرِجُهُ المَرْءُ عَنْ نَفْسِهِ وَعَمَّنْ يَلْزَمُهُ عَولُهُ بِسَبَبِ الفِطْرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَإِلَى مَشْرُوعِيَّتِهَا أَشَارَ الكِتَابُ العَزِيزُ بِقَولِهِ: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴾[٥]، وَفِي الحَدِيثِ عَنِ السَّيِّدَةِ عَائِشَةَ – رَضِيَ اللهُ عَنْهَا – قَالَتْ:

---

(١) سورة الأعراف / ٢٣.

(٢) سورة الأنبياء / ٨٧.

(٣) سورة القصص / ١٦.

(٤) سورة القصص / ١٦.

(٥) سورة الأعلى / ١٤.

((سَنَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ عَلَى الحُرِّ وَالعَبْدِ، وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى، وَالصَّغِيرِ وَالكَبِيرِ، صَاعًا مِنْ تَمْرٍ، أَوْ صَاعًا مِنْ زَبِيبٍ أَوْ بُرٍّ أَوْ شَعِيرٍ))، وَمَا شُرِعَتْ زَكَاةُ الفِطْرِ إِلاَّ لِلرِّفْقِ بِالفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ، وَإِغْنَائِهِمْ عَنِ السُّؤَالِ فِي يَوْمِ العِيدِ، وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِمْ، وَتَطْهِيرِ الصَّائِمِينَ، فَعَنِ ابنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا– قَالَ: ((فَرَضَ رَسُولُ اللهِ ﷺ زَكَاةَ الفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ))، وَقَدْ شَاعَ عِنْدَ بَعْضِ النَّاسِ مُبَادَلَةُ الجِيرَانِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ زَكَاةَ الفِطْرِ صَبِيحَةَ العِيدِ، وَهَذَا خَطَأٌ؛ وَذَلِكَ لأَنَّ الجِيرَانَ فِيهِمُ الغَنِيُّ وَالفَقِيرُ، وَالزَّكَاةُ حَقٌّ لِلْفَقِيرِ وَالمِسْكِينِ دُونَ الغَنِيِّ.

فَاتَّقُوا اللهَ – عِبَادَ اللهِ –، وَابتَهِجُوا بِعِيدِكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ الفِطْرِ طَيِّبَةً بِهَا أَنْفُسُكُمْ، وَتَحَرَّوا فِيهَا ذَوِي الفَقْرِ وَالحَاجَةِ، وَاستَقْبِلُوا عِيدَكُمْ بِالشُّكْرِ وَالطَّاعَةِ، وَلْيَكُنِ العِيدُ شُكْرًا للهِ عَلَى التَّوفِيقِ وَالهِدَايَةِ، وَإِتْمَامِ الفَضْـــلِ وَالنِّعْمَةِ.

اللَّهُمَّ أَعِدْ عَلَيْـــنَا شَهْرَ رَمَضَانَ أَعْوَامًا عَدِيدَةً، وَأَزْمِنَةً مَدِيدَةً، وَاكْتُبْ لَنَا القَبُولَ وَالمَغْفِرَةَ.

هَذَا وَصَلُّوْا وَسَلِّمُوْا عَلَى إِمَامِ الْمُرْسَلِيْنَ، وَقَائِدِ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِيْنَ، فَقَدْ أَمَرَكُمُ اللهُ تَعَالَى بِالصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ عَلَيْهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ حَيْثُ قَالَ عَزَّ قَائِلاً عَلِيْمًا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ (١).

اللَّهُمَّ صَلِّ وسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وسَلَّمْتَ عَلَـــى سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّـــدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيْمَ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنا إِبْرَاهِيْمَ، فِي العَالَمِيْنَ إِنَّكَ حَمِيْـــدٌ مَجِيْـــدٌ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ خُلَفَائِهِ الرَّاشِدِيْنَ، وَعَنْ أَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِيْنَ، وَعَنْ سَائِرِ الصَّـــحَابَةِ أَجْمَعِيْنَ، وَعَنْ المُؤْمِنِيْنَ وَالمُؤْمِنَاتِ إِلَى يَوْمِ الدِّيْنِ، وَعَنَّـــا مَعَهُـــمْ بِرَحْمَتِـــكَ يَـــا أَرْحَـــمَ الرَّاحِمِيْنَ.

اللَّهُمَّ اجْعَلْ جَمْعَنَا هَذَا جَمْعًا مَرْحُوْمًا، وَاجْعَلْ تَفَرُّقَنَا مِنْ بَعْدِهِ تَفَرُّقًا مَعْصُوْمًا، وَلا تَدَعْ

(١) سورة الأحزاب / ٥٦ .

فِيْنَا وَلا مَعَنَا شَقِيًّا وَلا مَحْرُوْمًا.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ تَرْزُقَ كُلاًّ مِنَّا لِسَانًا صَادِقًا ذَاكِرًا، وَقَلْبًا خَاشِعًا مُنِيْبًا، وَعَمَلاً صَالِحًا زَاكِيًا، وَعِلْمًا نَافِعًا رَافِعًا، وَإِيْمَانًا رَاسِخًا ثَابِتًا، وَيَقِيْنًا صَادِقًا خَالِصًا، وَرِزْقًا حَلاَلاً طَيِّبًا وَاسِعًا، يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ وَالْمُسْلِمِيْنَ، وَوَحِّدِ اللَّهُمَّ صُفُوْفَهُمْ، وَأَجْمِعْ كَلِمَتَهُمْ عَلَى الحَقِّ، وَاكْسِرْ شَوْكَةَ الظَّالِمِينَ، وَاكْتُبِ السَّلاَمَ وَالأَمْنَ لِعِبادِكَ أَجْمَعِينَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا احْفَظْ أَوْطَانَنَا وَأَعِزَّ سُلْطَانَنَا وَأَيِّدْهُ بِالْحَقِّ وَأَيِّدْ بِهِ الْحَقَّ يَا رَبَّ العَالَمِيْنَ.

اللَّهُمَّ رَبَّنَا اسْقِنَا مِنْ فَيْضِكَ الْمِدْرَارِ، وَاجْعَلْنَا مِنَ الذَّاكِرِيْنَ لَكَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، الْمُسْتَغْفِرِيْنَ لَكَ بِالْعَشِيِّ وَالأَسْحَارِ.

اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ وَأَخْرِجْ لَنَا مِنْ خَيْرَاتِ الأَرْضِ، وَبَارِكْ لَنَا فِي ثِمَارِنَا وَزُرُوْعِنَا وكُلِّ أَرزَاقِنَا يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ.

رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوْبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا، وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الوَهَّابُ.

رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُوْنَنَّ مِنَ الخَاسِرِيْنَ.

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِيْنَ وَالْمُؤْمِنَاتِ، وَالْمُسْلِمِيْنَ وَالْمُسْلِمَاتِ، الأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالأَمْوَاتِ، إِنَّكَ سَمِيْعٌ قَرِيْبٌ مُجِيْبُ الدَّعَاءِ.

عِبَادَ اللهِ:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴾.